المسلمون في شمال اليونان
بين الماضي والحاضر والمستقبل المأمول
نظرة واقعية للمسلمين

أ.د. يشار شريف داماد

مدخل : نبذة ملخصة عن اليونان والمسلمين

اليونان : هي إحدى دول قارة أوروبا، وضمن دول شبه جزيرة البلقان، وهو عضو في سوق للدول الأوروبية المشتركة، تبلغ مساحة أراضيها (131 ألف و944 كيلومتراً مربعاً)، وعاصمتها "آثينا" والعملة المتداولة هي "يورو". ونظام الحكم جمهوري، وقد انضمّت إلى الأمم المتحدة في (25) أكتوبر عام 1945 ميلادية. وعدد سكانها أكثر من (11) مليون نسمة من بينهم أكثر من نصف مليون مسلم يعيشون في أراضي اليونان مع الجاليات الإسلامية والعربية، ومائة وخمسون ألف مسلم (150) أي واحد والنصف في المائة، من بقايا الدولة العثمانية المتمركزة في شمال اليونان.

الحدود : وتحدها تركيا من الشمال الشرقي. وبلغاريا ويوغوسلافيا السابقة من الشمال. وألبانيا من الشمال الغربي ..يحيط بها البحر الأبيض المتوسط من الجنوب والغرب. وبحر إيجه من الشرق.

كيف عرف اليونانيون الإسلام ؟ :

قد عرفت اليونان الإسلام منذ وقت مبكر -في النصف الأول من القرن الهجري الأول- وذلك عندما فتح المسلمون بعض الجزر اليونانية مثل جزيرة "رودس" وجزيرة "كريت".. ثم انتشر الإسلام في أغلب الجزر اليونانية.. وقد تأصل الوجود الإسلامي في اليونان خلال الفتح الإسلامي لشبه جزيرة البلقان.. إذ تم فتح مقدونيا في عام 782 هجرية (1380ميلادية). ثم امتدت مسيرة الإسلام إلى وسط اليونان.. وخضع اليونانيون للحكم الإسلامي لعدة قرون.. تأسست خلالها

حضارة إسلامية راقية، وشُيّدت مئات المساجد ودور التعليم والمكتبات الإسلامية.. ونشطت بها حركة التأليف في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية والإنسانية.. وظلت اليونان مقصد العلماء وطلاب العلم.. فتزايدت أعداد المسلمين حتى بلغت أكثر من 60% من إجمالي عدد السكان حتى عام 1913 ميلادية.

أماكن انتشار المسلمين في اليونان :

في الواقع يمكن تقسيم المسلمين الذين يعيشون في جميع أراضي اليونان، من حيث العيش والسكنى، إلى قسمين، من حيث الحقوق :

القسم الأول : المسلمون الذين يعيشون في شمال اليونان والمعروف بتراقيا الغربية[1]. وهو موضوع مداخلتي لهذا المؤتمر.

والقسم الآخر : المسلمون الذين يعيشون في الداخل يعني خارج هذه المحافظات، كمدينة قاوالا ومدينة ثاسالونيكي وما حولها، والعاصمة وما حولها، والجزر، ويمثل معظم هؤلاء الجاليات العربية والإسلامية، وعدد لا بأس به من الشمال انتقلوا منها إلى تلك المدن لكسب أقواتهم ومعيشتهم، وأتطرق إليهم في المحور الثالث عند حديثي عن المستقبل المأمول لمسلمي اليونان.

المسلمون في شمال اليونان

هم الذين لهم حقوق معاهدة لوزان العالمية للسلام والتي وقعت بين تركيا واليونان عام 1923م، وهذه الحقوق للأرض ولسكانها لا تنتقل بانتقال أصحابها، كما لو انتقل خمسون ألف مسلم مثلاً إلى آثينا لا تنتقل معهم هذه الحقوق، وذلك بناء على الإتفاقية المذكورة سالفاً، وقد وقعت على هذه الاتفاقية كثير من الدول في العالم منهم : فرنسا، إيطاليا، يابان، رومانيا، انكلترا، ويبلغ عدد هؤلاء المسلمين الذين يسكنون ويعيشون في هذه المنطقة ما يقارب أو يتجاوز مائة وخمسون ألف مسلم، والجدير بالذكر أنه لا يوجد تعداد رسمي للمسلمين في المنطقة ولا في اليونان.

كل ما ذكرت إلى هنا شبه متفق عليه، أما ما يأتي من الحديث بعد هذا المدخل الوجيز، ففيه الخطأ والصواب؛ لأن كل يقول ما يراه من وجهة نظره

1- **تراقيا الغربية :** هي في أقصى شرق اليونان وغرب تركيا، من الشرق حدود تركيا، نهر أوروومن الغرب نهر مستي قوالا ودرما ومن الجنوب الشرقي جبال رودوب وبلغاريا، ومن الشرق بحر إيجه. شمال وشرق 50 كيلومتر تقريباً شريط ضيق وأراضيه 8.578 كيلومتر، وهي تشمل ثلاث محافظات : محافظة أورو وعاصمتها، آلكصاندروبولي، ومحافظة رودوبي وعاصمتها : قوموتيني، ومحافظة إكسانتي ومحافظتها إكسانتي.

الثقافية، أو على حسب اطلاعه، أوميوله، أومصلحته الشخصية...؛ لذا أرى من الضروري أن أنوه لأمور منها :

- كل ما أكتبه يخصني أنا كأكاديمي وكالباحث ولا يخص غيري من البشر، فما كان فيه من خير وصواب فهومنه سبحانه وتعالى وله الحمد والثناء. وما كان فيه من شر وضرر وفتنة لي وللمسلمين فهومني ومن الشيطان وأستغفر الله منه وأتوب إليه.
- قبل ما أكتب شيئاً أضع نصب عيني أن لكلماتي هذه أحساب عليه أمام الله عز وجل، وأمام التاريخ، وأمام الشعب.
- أحاول أن أكون محايداً بقدر ما أستطيع إلا أنني أنظر إلى الأمور من الناحية الإيجابية أولاً، ثم السلبية، بمعنى أنني أتحدث عن الكأس الذي نصفه مملوئة بالماء ونصفه الآخر فارغ.
- أنص على قاعدة وهي: أن المسلمين في اليونان لا يعيشون في الجنة، وفي الوقت نفسه لا يعيشون في جهنم.

سبب اختيار الموضوع إننا في كثير من الأحيان نقرأ في الأخبار ونستمع عبر القنوات أخبار متناقضة عن اليونان، خبر يقول : بأنه لا يوجد مسجد ولا جامع في اليونان، وهذا خطأ يحتاج إلى تصويب، وخبر آخر يقول : بأن في اليونان أكثر من ثلاث مائة جامع، وهذا يحتاج إلى بيان.

بهذا اقتضت تقسيم المداخلة إلى ثلاثة محاور :

المحور الأول : المسلمون في شمال اليونان في الماضي.
المحور الثاني : المسلمون في شمال اليونان اليوم.
المحور الثالث : المستقبل المأمول لمسلمي اليونان.

المحور الأول : المسلمون في شمال اليونان في الماضي

لا شك أننا نعيش في بلدنا هذه منذ أن استقلت اليونان عن الإمبراطرية العثمانية، ولكن لا نستطيع أن نحدد للأمور تواريخ يومية ثابتة إلا الحادث نفسه ؛ لأن للأوضاع والأحوال سوابق ولواحق ثم الحادث نفسه ؛ حيث أن الأحوال لا تتغير من يوم وليلة، ولكن نستطيع أن نقول أحوال المسلمين إلى ما قبل إنضمام اليونان إلى الاتحاد الأوروبي مثالاً.

لا شك أن التطورات التي تحدث في اليونان لها أثر إيجابي أو سلبي مباشر على مسلمي اليونان ولا سيّما في الشمال، ومن حسن حظ المسلمين، أو من سوء حظهم أن التطورات التي تحصل في تركيا تجاه النصارى أو ما بين تركيا واليونان، لها تأثير إيجابي أو سلبي على المسلمين في اليونان. هذا على أرض الواقع والملموس، لكن لا شك أن أي ضرر أوظلم يحصل لأي مسلم بل لأي إنسان في العالم له تأثير في نفوس المسلمين، أو يجب أن يكون كذلك، بناء على إيمان كل مسلم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "**من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم**".

الأصل أن مسلمي الشمال تركوا في شمال اليونان مقابل النصارى الذين هم في اسطنبول، فإذا تحسنت أحوالهم هناك تحسن أحوالنهم هنا، فإذا تغيرت أحوالهم هناك يحاول أن يغير أحوالنهم هنا. فلما كانت الأوضاع السياسية مضطربة هناك، كان أحوالنهم مضطربة هنا ؛ لأن الأصل التقابلية. هؤلاء يتقابل أحوالهم هنا. فلذا نستطيع أن نقول بأن السياسة كانت مضطرة نوعاً ما إلى التسعينيات.

فكان لهم مساجدهم وما زالت ما يقارب مائتين وخمسون جامع، وبمثله من المدارس الابتدائية يدرس فيها الدين الإسلامي باللغة التركية، إضافة إلى تعليم القرآن الكريم، ولهم مدارسهم ما بعد الإبتدائية (المتوسطة، والثانوية) إلا أنه لا تلبي جميع طلباتهم، أما المرحلة الجامعية فلا توجد حتى الآن، وليست هذه الحقوق إلا لمن سكن في هذه المنقطة، أما إذا هاجر أوهاجروا عن هذه المنطقة فليس له ولا لهم هذه الحقوق، حتى ولوكان في اليونان بل حتى لوكان في العاصمة.

من العادات والأعراف التي تحولت إلى حقوق منذ استقلال اليونان عن الدولة العثمانية، أنه فى بداية السنة الهجرية الجديدة في شهر محرم والعاشر منه، وأول ليلة الجمعة من شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، وأيام العيدين «الفطر والأضحى» عطلة رسمية للمسلمين، والطلاب المسلمون لا يذهبون إلى المدارس في هذه الأيام، إن شاءوا.

وفي شهر رمضان يكون هناك إفطار جماعي فى معظم المساجد، يجتمع بعض أهل القرية ويذهبون بالطعام إلي المسجد وإذا حضر ضيف يفطر معهم ويكثر الوعظ والإرشاد في رمضان.

اليونانيون كشعب يحترمون الأديان والإسلام من بينهما، وظهر ذلك جلياً في أزمة الرسومات الكاريكاتورية المسيئة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي

نشرتها الصحيفة الدانمركية؛ حيث لم يوافق الشعب اليوناني في عرض هذه الرسومات، لافي الجرائد ولا في التلفاز.

لا يوجد ضغط ظاهري على أداء العبادات أو الآذان، فالأماكن التي لا يوجد بها إلا المسلمين كالقرى يؤذن فيها بمكبرات الصوت، والأماكن المختلطة يكون الصوت فيها أخف، وفي المدن يكون الصوت أكثر قلة.

المرأة المسلمة حرة في لباسها وحجابها، وفي عدم لبسها للحجاب.

إذا غرق أو مات مقتولاً من أراد أن يدخل إلى اليونان بطريق غير شرعي، وإذا تبين أنه مسلم أوأنهم مسلمون، يكلف دار الإفتاء بتجهيزه، وتكفينه والصلاة عليه ودفنه.

يوجد مفتي في كل محافظة من المحافظات الثلاث. وهم حالياً : في محافظة أورو : الشيخ/ محمد شريف، وفي محافظة رودوبي : الشيخ/ حافظ جمالي، وفي اكسانتي : الشيخ/ محمد أمين شنيك.

دورهم وأعمالهم : توعية المسلمين بأمور دينهم، ومسئوليتهم النظر في الأحوال الشخصية على حسب الشريعة الإسلامية (عقد النكاح، إصلاح ذات البين، الطلاق، الوصي، النفقة، الميراث، ومسائل دينية أخرى). تعليم الأبناء العلوم الشرعية في المساجد، واختيار الأئمة من قبل أهل القرية والمدينة وتنصيبهم، والمشاركة في المناسبات الإسلامية، وتمثيل المسلمين في الأعياد القومية في الدولة.

القرارات التي تصدرها دار الإفتاء تصادق عليها المحكمة اليونانية والعدل اليوناني. الدولة اليونانية لا تتدخل أبداً في الشؤون الإسلامية التي تقع تحت صلاحيات الدار. بل تساعد وتدافع عن القرارات إذا لزم الأمر. وهناك أراض أوقاف في كل محافظة يشرف عليها رئيس الأوقاف والمفتي هوالمشرف على رئيس الأوقاف.

المحور الثاني : المسلمون في شمال اليونان اليوم

كما سبق أن ذكرت أننا لا نستطيع أن نحدد الأمور بالتواريخ إلا الحادث نفسه، لذا نستطيع أن نقول أحوال المسلمين في الشمال من بعد إنضمام اليونان إلى الإتحاد الأوروبي.

نستطيع أن نقول بأن أحوال المسلمين تحسنت من حسن إلى الأحسن من جميع الجوانب، الأحوال السياسة والأجتماعية وغيرها ؛ منذ انضمام اليونان إلى الإتحاد الأوروبي أي منذ التسعينيات وذلك بدء من التعليم ووصولاً إلى الوظائف. وكان دور دول الاتحاد الأوروبي لها نصيب الأسد في هذا المجال.

الأحوال الحسنة التي سبق أن ذكرتها في المحور الأول المسلمون في شمال اليونان في الماضي كل ما فيها من الكمال استمرت وزاد عليها، وذلك من باب أن الدين لله، والدولة للجميع.

والمسلمون مخيرون في أن يأتوا إلى دار الإفتاء لقضاء أمورهم الدينية من عقد الزواج والطلاق والميراث وبين أن يذهبوا إلى البلدية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى غير المسلمين أيضاً في أن يذهبوا إلى الكنيسة أوالبلدية، والفرق أنه كل أمر يتم في دار الإفتاء يكون انتهائه فيه، فإذا تم في البليدة ينتهي في المحاكم القضائية، علماً بأنه في السابق لم يكن الأمر كذلك.

تم ترميم معظم الجوامع في هذه المنطقة، بما يتناسب مع طرازه القديم وبتكنولوجيا الحديثة وبما يوافق العصر.

الحكومة فتحت نسبة الالتحاق بالجامعات من الأقلية المسلمة خمس في الألف (0,005) ممن ليست لغتهم الأم اليونانية... فلا شك أن مسلمي تراقيا يترقبون هؤلاء الشباب بين الخوف والأمل في المستقبل، ولا سيما الإنتماء إلى الدين الإسلامي، وأن يكونوا قدوة حسنة.

وأيضاً فتح باب القبول للبنات في المدرسة الخيرية بمرحلة الإعدادية والثانوية، علماً بأن الحجاب فيها إلزامي، ويتعلم فيها الطالب والطالبة المواد الدينية القرآن الكريم، والتفسير، والأحاديث النبوية الشريفة، والفقه، وغير ذلك من العلوم الدينية، إضافة إلى التعليم العلمي.

بني أكبر مستشفى في دول البلقان في هذه المنطقة، يقدم الخدمة للإنسانية.

المحور الثالث : المستقبل المأمول لمسلمي اليونان

هنا أود أن أذكر المأمول والمنتظر من الحكومة اليونانية للمسلمين في جميع اليونان ولا أفرق بين منطقة وأخرى، ولا بين الشمال والجنوب ولا بين الغرب والشرق ؛ لأن كلنا نعيش في بلدنا اليونان، ونعيش في عصر العولمة، وكل من يسكن في اليونان له واجبات قبل أن يكون له حقوق، فإذا أتى بواجباته

على أكمل وجه، له حق المواطنة أينما حلوا وأينما نزلوا، وأن ينسحب من الساحة الذين يريدون أن يعرقلوا أمن البلاد والعباد، وأن يرجع اليونان إلى أصله ؛ حيث منهم خرج الحرية والديموقراطية، أن يكون متبوعاً لا تابعاً، فإن كل ما نذكره موجود في الواقع في بعض دول الأوروبية.

أن يجد حلاً مرضياً لمشكلة الأوقاف في الشمال وفي الجزر، ويحل مشكلة المفتيين التي ظهرت منذ عام 1985، ومشكلة الأئمة، ومشكلة أولاد المسلمين الذين يدرسون خارج منطقة الشمال، الذين لا يشملهم اتفاقية لوزان، إضافة إلى الذين آثروا ارسال أولادهم إلى المدارس التي لا يدرس فيها الدين في الشمال، بأن يخصص لهم مدرس ديني في حصة الدين المسيحي.

أن يدخل في حيز التنفذ بناء المركز الإسلامي في العاصمة ؛ وأن يمنح أرضاً لدفن موتاهم من المسلمين في العاصمة.

أن يعين مختصين من العلماء والنفسانيين من المسلمين لرفع معنويات السجناء، كما في بعض دول أوروبا.

كل هذا وغيره سيكون في يوم ما إن شاء الله مادام هناك مسلم يعيش في هذه الأراضي، فمن حقه الطبيعي أن يمارس حياته اليوميه كما يشاء، وكما يأمره شريعته، مادام لا يخالف النظام العام، وما دام ليس له ضرر للآخرين، ومادام هذا الإنسان اختار أن يعيش في هذا البلد، وقبله هذا البلد وهو يدفع الضرائب، ولا يخالف النظام العام، أما الذين يخالفون النظام العام فإن الإسلام منهم بريئ كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم " **من آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني كنت خصمه يوم القيامة**".

يجب على كل إنسان أن يحترم معتقدات الآخرين، وعلى المسلم أوجب، لأنه يعتقد أن الخلق كلهم مفتقرون إلى الله.

يجب على كل مسلم أن يعرض الإسلام على حقيقته وبصورة مشرفة ومشرقة ؛ ليعرف الإنسانية سماحة هذا الدين، دين العدل والرحمة والمساواة.

المسلمون في اليونان يتألمون بشدة عندما يسمعون عن الخلافات والشقاق الذي يدب في العالم الإسلامي، وآمالهم في توحد المسلمين وأن يكون لهم كلمة واحدة، ويحزنون أشد الحزن عندما يحدث انفجار أوهجوم أوشيء من هذا القبيل في العالم باسم الإسلام.

هذه بعض ما ننتظره من الحكومة الحالية أو الحكومات المتعاقبة، من أن يضع النقاط على حروفها ولا يبالي ببعض ما يقوله بعض الذين يقدمون مصالحهم على مصالح الأمة، كما هو معلوم رضا الناس غاية لا تدرك، فعلى المسئولين أن ينفذوا ما يرونه صحيحاً.